سلم النجاح .. هل هو حقيقي ؟

نشر في جريدة أخبار الخليج بتاريخ 16 ديسمبر 2018

بقلم: الدكتور زكريا خنجي

الحقيقة المهمة تقول إنه لا يوجد طريق واحد للنجاح، بل توجد عشرات وربما المئات من الطرق كلها يمكن أن تؤدي إلى النجاح، ولكن كل المطلوب منك أولاً: أن تقوم وتتحرك وتعتزم السير في طريق النجاح، فإن فعلت فإنك حتما ستصل، وثانيًا: أن تسلك الطريق الناجع، ذلك الطريق الذي يمكنك من خلاله أن تصل إلى القمة ولكن من غير أن تسبب مضايقات لمن حولك أو تدعسهم، أو أن تتسلق على أكتاف الآخرين، وذلك لأنه إذا تحرك هؤلاء الذين تسلقت على أكتافهم أو تمت إزاحتهم من تحتك فإنك حتمًا ستسقط، وسقوطك سيكون مدويًا وللأسف سيكون غير مأسوف عليه.

وعلى الرغم من ذلك فقد حاولت العديد من الأدبيات المتعلقة بالتنمية البشرية أن تضع سلمًا أو خريطة طريق للوصول إلى قمة النجاح، قد نختلف معهم وربما نتفق ولكن في النهاية الذي نؤمن به أنها خطوط استرشادية يمكن الاستعانة بها إن لم نتمكن بأنفسنا من وضع طريقنا الخاص للوصول إلى النجاح. ولكن سؤال النجاح والرغبة في الوصول إليه يمكن أن يُعد من أكثر الأسئلة المطروحة في الدورات التدريبية التي نقيمها وخاصة

في الموضوعات المتعلقة بتطوير الذات والتنمية البشرية، والسؤال هو: كيف نصل إلى النجاح ؟

لذلك ومن خلال اطلاعي على العديد من الأدبيات والمراجع، ومن خلال بعض الدورات التدريبية الخاصة استطعنا أن نضع نوعًا ما خريطة صغيرة لطريق النجاح، وتتكون من أربع مراحل رئيسية وتندرج تحت هذه المراحل بعض الأمور التي نعتقد أنها مهمة، وهي ليست للأفراد فقط بل للأفراد والمؤسسات أيًا كان نوعها، علمًا أن بعض الأفراد قاموا بتطبيق هذه النقاط ووجدوا أنها تستحق التجربة وذلك لأنها ملخصة وبسيطة، لنحاول أن نتحدث عن هذه النقاط بطريقة أو بأخرى.

أولاً: مرحلة لا أستطيع؛ في هذه المرحلة ينقسم فيه الإنسان إلى ثلاثة مستويات، وربما في مجملها تُعد لحظة تفكير وتردد وخوف وقلق وشك، وفي الحقيقة كلنا نشعر ونخاف أثناء وجودنا في هذه المرحلة، فلا يوجد إنسان وصل إلى النجاح من غير أن يضع خطواته الأولى في هذه المرحلة، وهي مرحلة التردد والخوف من المجهول الذي يمكن أن يؤدي به إما إلى طريق النجاح أو إلى طريق الفشل كما يعتقد المرء، ففي هذه المرحلة يقف الإنسان أمام ثلاثة أبواب مغلقة ومتسلسلة، فإن فتح الأولى واجهه الباب الثاني، ومن ثم الباب الثالث، وهذه الأبواب هي:

1- أنا لا أريد، في الحقيقة لا يوجد إنسان لا يريد النجاح، ولكن طبيعة النفس البشرية التي تحاول أن تجد لنفسها المبررات في خط الرجعة، لذلك يردد

المرء بينه وبين نفسه أنه لا يريد أن يضع قدميه على سلم النجاح، فماذا يمكن أن يعني له النجاح ؟ ولماذا ينجح ؟ ولمن ؟ وهكذا يقنع نفسه أنه لا توجد ضروريات ولا مبررات للنجاح، ومن ثم عند هذا الباب يسقط الكثير من الناس، ولا يتقدم ليفتح هذا الباب إلا عدد من الناس، فإن اجتاز المرء هذا الباب فلا يعتبر ذلك أنه قد بلغ النهاية وإنما يمكن أن يقال إنه وضع خطوته الأولى على سلم النجاح.

2- أنا لا أستطيع، من الناحية النفسية فإن العديد من البشر قد ينتصرون على أنفسهم عن الباب الأول ويلجون فيه، لأنه مجرد حالة نفسية يمكن للبعض تجاوزها إن شعر برغبة قوية في النجاح، ولكنه قد يقف عند هذا الباب الثاني ويشعر بالفعل أنه لا يستطيع أن يفتح هذا الباب، لأن هذا الباب يحتاج فيه المرء نوعًا ما إلى بعض الأعمال، ويحتاج إلى تخطيط وتفكير وبذل بعض الجهد، إن كانت هناك رغبة ما زالت موجودة. نعم يجب أن تكون هناك رغبة وكذلك وقلم وورقة أمام الإنسان يضع عليها بعض شطحات التخطيط، وربما تتحول هذه الشطحات إلى رسومات واضحة نوعًا ما إن تجاوز هذا الباب وولج فيه، وإن لم تتحول هذه الشطحات إلى أمور واضحة فإن المرء سيقف عند هذا الباب، ويتخاذل وربما يتراجع.

3- أنا أريد ولكن لا أعرف كيف، بعد أن نحمل معنا شطحات التخطيط وحتى إن اتضحت من خلالها بعض الرؤى ونكون عندها قد ولجنا من الباب الثاني، نواجه أمامنا عقبة أخرى أو الباب الثالث، وهو: لا أعرف كيف وماذا أفعل حتى

أبلغ مرحلة النجاح ؟ يمكننا أن نقول إنه في هذه المرحلة يمكن أن يعاني فيها الإنسان من بعض الألم والأمل، فهو يريد ولكنه لا يعرف كيف يفتح هذا الباب، ويأمل أن تمتد إليه يد خفية من الأيدي البيضاء حتى تساعده في فتح الباب وربما حتى تدفعه إلى الولوج من خلال الباب، ولكن الحقيقة تقول: إنه لا أحد يمكنه أن يفتح لك الباب، بل أنت وحدك من سيفتح لك الباب، فإن لم تمتد يدك نحو الباب وتمسك المقبض، فلن تجد يداً أخرى تفتح لك الباب، بل أقصى حد يمكن أن تقوم به يد المساعدة أن تشير إلى الباب وتقول لك: هذا هو الباب، افتح وادخل، وغير ذلك لن تجد، لذلك هذه المرحلة نوعا ما يمكن أن تُعد واحدة من المراحل الصعبة في سلم النجاح.

ثانيا: مرحلة أرجو لو كنت؛ من المفترض أن يكون المرء الذي يبلغ هذه المرحلة قد تشبع رغبة في الوصول إلى سلم النجاح والرغبة في بلوغه، لذلك فإن هذه المرحلة هي مرحلة النضج في الرغبة ومن ثم في التفكير، وإن لم يبلغ النضج أشده إلا أنه بدايات مرحلة النضج فإن ذلك مقبول كذلك، وهي مرحلة مهمة لا بد من المرور فيها ولو بصورة جزئية، وتنقسم إلى خطوتين وهما:

1- أرجو لو أستطيع، يردد الإنسان بينه وبين نفسه هذه العبارة كثيراً، أرجو لو أستطيع أن أضع خطتي للمستقبل، أرجو لو كنت أعرف خطواتي المستقبلية، أرجو لو.. أرجو لو.. وهكذا، وينتاب المرء خوف شديد من المستقبل المجهول، كيف سيكون المستقبل ؟ وهل فعلاً سيكون له شأن

فيه ؟ فيعيش الإنسان في مرحلة القلق والهواجس والخوف، فهو بين المحجم والمتقدم، إذ يتقدم خطوة ويرجع خطوة، ومرحلة أخرى يتقدم خطوتين ويرجع خطوة، وهكذا يحدث الكثير من التردد المبطن بالخوف، وليس التردد في حد ذاته، فإن تجاوز هذه الخطوة ينتقل إلى الخطوة التالية.

2- **أريد أن، الآن أصبحت صورة النجاح واضحة في ذهن الإنسان، بحيث يمكن أن يتلمس بأصابعه زواياها وخباياها، يستطيع أن يعرف ملامح خطواته المستقبلية، يستطيع أن يتخيل نفسه وهو سائر على سلم النجاح، وعلى الرغم من ذلك فمازال الخوف موجوداً، والشك والقلق والرغبة وكل العواطف تتصارع مع نفس هذا الإنسان، فإن الرغبة في النجاح يمكن أن تُعد هي الوقود الذي يتأجج وتقود هذا الإنسان إلى بلوغ المرحلة الثالثة.**

ثالثا: مرحلة أعتقد أني أستطيع؛ في هذه المرحلة – قد – تكون انتصرت إرادة هذا الإنسان ورغبته في النجاح على خوفه وشكه في نفسه وتردده، فأصبحت نفسه وإرادته القوية تواقة إلى القمة، تواقة للبلوغ إلى قمة الجبل، فلا تردد يمنعه ولا خوف يقيده، لذلك يمكنه أن ينطلق من خلال خطوتين مهمتين، وهما:

1- **بإمكاني النجاح، في هذه المرحلة لا تُعد هذه الجملة كلمة تقال بل هي أفعال يقوم بها المرء للانتقال من مرحلة إلى أخرى، فحتى إن فشل في عمل ما فإنه يعتبر ذلك الفشل جزءًا من النجاح يتعلم منه بعض الدروس والعديد من العبر، وهذا الإنسان يسير واثقا من نفسه، يفكر في خطواته،**

ويحسِب أفعاله ويحاسب نفسه على الأعمال التي يقوم بها، ويقيس مدى النجاح الذي يبلغه بصورة يوميه، ويراجع خطته باستمرار، وكل همه هذا الطريق وهذا السلم الذي أمامه حتى وإن نعق البوم حوله.

2- أنا أستطيع، بعد أن قطف هذا الإنسان من النجاح بعض ثماره أصبح يحترق شوقًا ورغبة في الاستمرار، ففي هذه المرحلة لا يمكن لهذا الإنسان أن يتراجع، أو حتى يتردد، على الرغم من أن القلق والخوف يملآن قلبه، فإنه يحاول أن يتظاهر بالثقة، سواء أمام نفسه أو أمام الآخرين، لذلك فهو سوف يستمر ويتعدى كل تلك الخطوط والهواجس التي تنتابه بين لحظة وأخرى، فينتصر على نفسه مرة وينهزم بضع مرات، وهذا أمر طبيعي، فالسير في مرحلة النجاح ليس نجاحًا باستمرار ولا فشلاً باستمرار، بل قد ترفعك موجة إلى الأعلى وموجة أخرى تخفضك، وهذا الأمر لا يخيف، بل هي حقيقة يجب أن نؤمن بها، إن أردنا أن نبلغ القمة.

رابعًا: مرحلة أنا وصلت ولكن: قد بلغنا النجاح وأصبحنا في قمة نجاحنا، ثم ماذا بعد ذلك ؟ هل يمكننا أن نستمر وأن ننتقل من قمة إلى أخرى، ومن مجد إلى آخر، ومن نجاح إلى نجاح ؟ أم نتوقف هنا ؟ والكثير من الأسئلة التي تراود الأذهان. ولكن على الرغم من كل شيء فلا يمكن أن نتوقف ففي الوقوف جمود وموت وتحلل والتحول إلى رماد وتراب، ثم لا شيء.

نعتقد أن هذه المرحلة هي أخطر مرحلة تواجه الإنسان الراغب في بلوغ النجاح، فنحن نؤمن أن النجاح في حد ذاته يجب ألا يكون غاية وهدفا، بل

مرحلة وخطوة ننتقل منها إلى الخطوة الأخرى عندما نبلغها، فالنجاح مجموعة من القمم، وليس قمة واحدة، لذلك على الراغب أن يصعد كل القمم التي يمكن أن يصعدها مهما بلغت ومهما بعدت.

فالنجاح ليس مرحلة نبلغها ومن ثم ننام، بل حالة من العمل الدؤوب والجاد، يمكننا أن نجلس لحظات للراحة، ولكنها للراحة فقط، ومن ثم يجب أن نقف ونسير بخطوات ثابتة وعمل مستمر، ليس ذلك فحسب بل إنه قبل ذلك حب وشوق لبلوغ القمة، فإن لم يوجد هذا الشغف وهذه الرغبة في بلوغ النجاح فمن المستحيل أن نصل، والنجاح حالة من التمرد على الذات، والتغلب على الخوف والتردد والقلق والشك، للبلوغ إلى مرحلة شبه استقرار نفسي، فلا يستطيع التواقون إلى النجاح السكينة والراحة، فالطموح لا يبلغ منتهاه، بل يظل هذا المرجل يغلي باستمرار، فلا السن يقعده ولا المرض يثنيه ولا الهرم يحبطه، مرجل من الطاقة والقوة والوقود الذي يوقد ذاتيا ولا ينطفئ مهما كانت العوائق والعقبات.

فالنجاح حالة وجدانية وعقلية وروحانية وذهنية قبل أن تكون جسدية، فمن يريد أن يسير في هذا الطريق فإنه يجب أن يعرف أن هذا الطريق غير ممهد ولا مفروش بالورد أو اللون الذهبي والأحمر، بل هو طريق فيه الكثير من العرق والدموع وربما القهر والقلق والشك، ففي الكثير من الأحيان تسأل نفسك هذا السؤال: لماذا سلكت هذا الدرب الشائك ؟ ماذا أريد أن أبلغ ؟ أليس من الأفضل أن أكون كملايين الناس الذين لا يتأجج في أنفسهم

الطموح إلى النجاح ؟ فإن بلغت هذه المرحلة وعاندت نفسك واستمررت في الطريق فتأكد أنك سوف تبلغ غاياتك، وأنك تسير في الطريق الصحيح وأنك سوف تنجح ولو بعد حين، ولو من أجل نفسك.